الشباب في عهد الرسول ﷺ

على رأس الأربعين ذروة الشباب ، حين تستحصد المره وتكتمل المواهب وتنضج القوى ، برز محمد صلوات الله عليه رسولاً الى العالمين بالهدى ودين الحق ، بعد ان اندمج في هذه المدرسة التي تصنع الرجال وتخرج العباقرة الافذاذ المدرسة الاجتماعية الكبرى مدرسة الحياة . فلقد دخل هـذا الغار العام المزدحم بأرهف استعداد هو استعداد النبوة لتتحنك فيه بشريته على النحو الذي استنه الله للبشر في هذا الكون ، ليلقى الناس بعد برسالته على نواميس من طبائعهم وغرائزهم وأحاسيسهم ، وما جعل الله رسوله بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق الا لينفذ في ذلك ارادته في ابتعاث الانسان الكامل الذي يكون مثلاً واقعياً أعلى للانسانية في أشرف منازعهـا وأخلص سرائرها وأسمى ميولها في اعدل الحدود الممكنة لمخلوق سوّاه الله من لحم ودم وميزه بالعقل والقلب ، ولو شاء الله لجعل رسوله ملكاً ، وعطل من اسبابه التي أحكم بها نظامه وأتقن صنعه ولكنه بعثه رسولاً من انفسنا ، لبث عمرَه يعاني فيه من ضروب العيش ما نعاني ليكون بمكان من الحنكة الاجتماعية يجنبيه الله بهـا ويصطفيه ، اذ ان الاصطفاء ان يختاره الله قادراً على سياسة التبليغ وبث الدعوة من دون الناس جميعاً ، ولا يكون ذلك الا بسبب من معالجة أمور الناس والتقلُّب في أعطاف الزمن ، وهكذا كانت حياة النبي (ص) الى ان نزلت عليه الرسالة ، فقد ضحِيَ الى هذا الوجود كما يضحَى العصامي فاقداً اول من يجب أن يراه بعد أمه ، وهو ابوه ، ليتلقى الحياة مباشراً وبغير ما واسطة ، وليطمس من نفسه اول ما يطمس غريزة التوا كل ، ويكتنز اول ما يكتنز فضيلة الثقة بالنفس والاعتماد على الخالق وحده ، وانسأ الله له في أجل أمه ريثما تتم له حضانة طبيعية ما منها بد ، ولكن الله استلها من حوله بعد ان أدت مهمتها وأردفها بجده بعد أن كَفَل به سنتين ، فبقي وحيداً يرعاه ربه وهو في السنة الثامنة لا يلفى من يصله من رحمه الا عمه أبا طالب ، وهنا قذفه الله في حياة شعبية عادية ساذجة فاصطنعه راعياً للغنم يعلمه بذلك قيادة أولية على قدر مايمكن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان يحتمله العقد الاول من العمر ، ويعرفه حالاً يحسها بنفسه ويجد مسها بقلبه ، حالاً لا يهبط اليها بالعادة العظماء ، ولكنها حال ما أجدرها بالرجل ينشأ عظيماً ، ثم زجه في الاثنتي عشرة من عمره في أتون مستعر يتجلى فيه الشر يبدي ناجذيه ، وهو الحرب حرب الفجار التي شهدها مع عمومته يجمع لهم فيها السهام ، ويشرف على الكر والفر ، يصلّب بذلك عوده ، ويعرف وجهاً من حماقة الانسان حين يصلى الحرب جذعة على تافه لا يؤبه له وحضر بعدها حلف الفضول الذي يحدثنا عنه بعد الرسالة بقوله : لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمرَ النعم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت . وما ناهز العشرين واستقام له الأمر الا وخب مع قومه يعاملهم ويعاملونه ، ويتعرف أخلاقهم ويتعرفون خلقه عن طريق الاتجار والضرب في الارض يبتغي من فضل الله ، وهل أحسن منها فتنةً له ولقومه تسفر عن خبيئة كليهما ؟ فقد ظفر هو بالكثير مما هم فيه خير اوشر ، وظفروا هم أيضاً بما قدروا عليه حتى توجوه بلقب الأمين ، بما وقعوا عليه من كمال معاملته عليه السلام ، ثم دخل بعد ذلك الحياة المركبة حين تزوج بخديجة بعد أن استأجرته للاتجار بمالها . ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره امتحن الله بصيرته وعقله وأهليته وأهبته في أخطر أمر واحرجه ، ذلك حين احتكم اليه العرب فيما ينذر بداهية دهماء من تنازع بطون قريش وغيرها على وضع الحجر الاسود لولا أن تداركها عليه السلام بحصافة عقل وحكمة رأي حقن بها دماءهم ، وأسكت حفائظهم وهدأ من نعرتهم ، فرأوا فيه بعد الأمانة الرجل المسدَّد الرشيد والأريب اللبيب ، وما أتى عليه من عمره أربعون حتى كان اعظم الرجال بُصراً ومرونة وحُنكة ، قد عجم قومه وعجم زمنه ، وعرف من أسرارهما ما يجعله أهلاً لأن يختاره الله رسولاً يبلغ آيات ربه وينشر دعوته .

وهذه النهضة الاسلامية الكبرى التي رجت الارض رجّاً ، ومدت رواقها على الشرق والغرب وامتدت أربعة عشر قرناً ، ويحصي افرادها اربعمائة مليون ، وتتحكم كثيراً في مقدرات التاريخ العام ، وتمد الحضارة العالمية بقسم كبير ، وينبغ فيها علماء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفلاسفة ومكتشفون وحكماء ، وينبغ فيها أيضاً أمراء ووزراء وقادة وسياسيون ، هذه النهضة كلها مدينة بالقسط الكبير الى شخصية النبي في سياسة التبليغ التي وكل الله أمرها اليه ، ومرغمة على الاعتراف بأنه أعظم مربٍ للافراد والشعوب منذ خلق الله الخلق ، وما ابتعثه الله الا وتعهد فيه رجولة جبارة تخترق بدهائها كل صعب وتخطى كل عقبة في سبيل ما أرسلت من أجله ، ولن نستطيع أن نستوفي بمحاضرة القول في هذه الرجولة العظيمة فلنجتزي بالقول عما نحن بسبيل منه

من تربيته عليه السلام

لبث رسل الاصلاح وعلماء التربية وفلاسفة الاخلاق نحواً من ثلاثين قرناً ينفقون جهدهم ويبذلون قرائحهم في اكتناه أسرار الانسان ، والبحث عن غرائزه وأطواره والتنقيب عن عواطفه وميوله ، والسبر لتفكيره وذكائه ومدى نشوء ذلك كله في الافراد والجماعات يتقرّون بذلك كل دقيقة وجليلة ، ويتقصون المستسر والمبهم ويتفحصون الامور على وجوهها ، حتى انتهوا الى ان نقضوا هذا الهيكل الانساني فنثروه ذرات كالجوهر الفرد ، وقتلوه بالبحث والتنظير وهم ما زالوا يعنون بهذا النوع من التشريح ويركبون اليه كل صعب ، ليقوموا من اوده او ليبعثوه من جديد في مدينة فاضلة تعفو فيها الآثام والشرور وتنشر فيها السعادة ، كل ذلك والانسان هو الانسان ، وما ندري بعد هذه الاحقاب ، هل يأتي ذلك الحين الذي ينزل فيه هؤلاء العلماء من أبراجهم فيجمعوا الانسان بعد ان نثروه ويحيوه بعد أن قتلوه ؟

ولكن الامر الذي يثير الدهشة ويدعو الى العجب والاعجاب ، ان يكون المستأثر بالتربية النفسية العملية من دون الناس جميعاً من اغريق ويونان ورومان وفرس وعرب فلاسفتهم وحكمائهم علمائهم ورهبانهم قضاتهم ومشترعيهم النبي العربي الأمي محمد رسول الله ، وما نقول ذلك لأنا مسلمون بل لأن الواقع يؤكد ذلك والاثر البليغ دليله فلقد ربى عليه السلام جيلين ، فمن الطفولة الى الشباب ومن الشباب الى الشيخوخة ، وأبدى في تربيته هذه قدرة خارقة ، مكنته ان يتناول بيسر ما أعجز الجهابذة من الحكماء ؛ فقد ساير الطبيعة الانسانية مسايرة محكمة دقيقة في جميع أطوارها وأتى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السبل للغرائز لتجري مطلقة على قدر النمو ، من غير شطط يؤذيها وينال منها ، مزاوجاً فيها بين الميول والاحاسيس ، ومراعياً فيها أيضاً نظام الطبائع ، يستثمر ذلك كله لتزكية النفوس وتقويتها واصلاحها ، عن طريق سائغة لا تصادم الأمزجة ولا تعاكس الفطر ، فاذا انتهى الطفل مثلاً الى السن التي يجدون فيها أنفسهم مرتاحة لنوع من اللعب لم يكبت رغبتهم فينكشوا على أنفسهم ، ويقلص مرحهم ونشاطهم ويذوي بذلك روحهم ، لم يمنعهم من اللعب ، بل كان يغريهم به ويشجعهم عليه ويظهر لهم رغبته بذلك وحبه وحنوه ، فعن عبد الله بن الحارث قال كان رسول الله (ص) يصف عبد الله وعبيد الله و كُثَيراً بني العباس ويقول من سبق اليّ فله كذا ، فيستبقون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم ، وعن علي ان النبي (ص) كان قاعداً في موضع الجنائز فطلع الحسن والحسين فاعتركا ، فقال رسول الله وعلي جالس ويحك حسين خذ حسناً ، فقلت تؤلب على حسن وهو اكبرهما يا رسول الله ؟ فقال رسول الله هذا جبريل قائم وهو يقول ويحك حسناً خذ حسيناً . وما كان يمنعه التزمت ان يشاركهم بالمداعبة والمجاملة ، فكثيراً ما استحثهم الى اللعب كما يصنع الترب مع الترب فيثب الحسن والحسين على ظهره الشريف فيمسكهما بيده حتى يرفع صلبه ويقوما على الأرض ، فاذا فرغ اجلسهما في حجره كما روى ذلك ابو هريرة . وعن جابر قال دخلت على النبي (ص) وهو يمشي على أربع وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما . ولقد كان هذا دأبه في الصغار الذين تكثر رؤيته لهم وهم بين ظهرانيه ، وما كان يفرق بين أقرب الناس اليه وأبعدهم منه ، ولا بين اولاد القرشيين الهاشميين والموالي المملوكين ، حتى اذا حاق بأحدهم مكروه بادره فرفه عنه وطيب بذلك نفسه وازال الغشاوة عن قلبه وأحسن مداعبته ، قالت عائشة : عثر أسامة بعتبة الباب فشج في وجهه ، فقال لي رسول الله اميطي عنه الأذى فتقذرته ، فجعل رسول الله يمص الدم ويمجه عن وجهه ويقول : لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته . وقال عطاء بن يسار : كان أسامة بن زيد قد أصابه الجدري أول ما قدم المدينة وهو غلام ، مخاطه يسيل على فيه فتقذرته عائشة ، فدخل رسول الله فطفق يغسل وجهه ويقبله ، فقالت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عائشة : اما والله بعد هذا فلا اقصيه أبداً ، وهكذا كان يشملهم بعنايته ويضمهم الى صدره ويبسط لهم بشره وعطفه ، وينشر عليهم جناح رحمته ، قال أسامة بن زيد : كان النبي (ص) يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول اللهم اني ارحمهما فارحمهما . ما كان النبي ليهمل شيئاً مما ينبغي لتكميل مواهب الصغير وتقوية عواطفه وتطهير دخيلته حتى القبلة يرسمها على وجهه ، بل ربما أمر بها ونال ممن ترفع عن مباشرتها ، ففي البخاري عن أبي هريرة ، قال قبل رسول الله الحسن ابن علي وعنده الاقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً ، فنظر اليه رسول الله (ص) ثم قال من لا يرحم لا يرحم . وعن عائشة (رض) قالت : جاء اعرابي الى النبي (ص) فقال : اتقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم ، فقال النبي (ص) : أو أملك لك ان نزع الله من قلبك الرحمة . يفعل كل ذلك رسول الله ليعد الصغير اتم اعداد فيقدم على التمييز وقد شحذت مشاعره ، وارهفت حواسه وتفتح وعيه ، ونضجت طفولته لم يفتقد الحنان فتضطرب عواطفه ، ولم ينهنه عما يريد من المحمود بالطبع فيكبت شعوره وتحطم معنويته ، ولم ينبذ ويحتقر فيحنق ويحقد ويكيد ، وانما يبرز قوياً غير ضعيف ، نقياً طاهراً غير موبوء ، قد اخذت طبيعته حظها من نفسه ، واستكملت عملها فيه . وما من ريب ان هذا اللون من التربية هو العنصر الفعال لايجاد العبقرية وانجاز الألمعية ، وهي العلاج الوحيد لتزكية العقل الضعيف وفتح النفس المغلقة ، وبسط الشعور المنقبض ، وهي من اكبر الذرائع لبث الطموح وغرز روح الاقدام والثبات عند المفظع من الأمر .

هذه صورة مصغرة لتربيته عليه السلام لمن هو دون السابعة او الثامنة من العمر ، فاذا جاوز الغلام هذه السن الى التمييز ، فهناك شكل آخر من أشكال التربية ، يسير معهم فيه على غرار قاعدة في التربية تقول : عامل ولدك معاملة الرجال لا يلبث ان يصبح رجلاً ، فقد كان عليه السلام يفسح لهم المجال بين الرجال ليثبتوا أشخاصهم ويروضوها على أن تأخذ مكانها الاجتماعي ، ليستطيعوا ان يستقبلوا الحلم مؤتنف الرجولة مكينين قادرين قد شغلوا بحق ما ملأوا من الفراغ ، وقاموا بواجبهم في الحياة أتم قيام ، فدعاهم عليه السلام في هذه السن الى الاسلام ، وكلفهم بالقيام بأمر الدين وعلمهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آياً من القرآن، وأهداهم أروع نصائحه ووصاهم بأبلغ وصاياه وقبل معاونتهم في الغزوات اذا لم يباشروا القتال الا قليل منهم قد باشروه فعلاً وعُني بتأديبهم وتعليمهم، وقد بايع بعضهم كما بايع عقلاء الرجال، بل ربما عاملهم كما يعامل سَراة الناس وكبارهم فقد اخر الافاضة من عرفه من أجل غلام افطس اسود ينتظره وذلك هو أسامة بن زيد، فقال اهل اليمن انما حبسنا من أجل هذا؟ قال عروة ولذلك كفر أهل اليمن من أجل ذا قال محمد بن سعيد: قلت ليزيد بن هارون ما يعني بقوله كفر أهل اليمن من أجل هذا فقال ردتهم حين ارتدوا في زمن ابي بكر انما كانت لاستخفافهم بأمر النبي (ص). والحق ان رسول الله كان يري مالا يرون وهذه الحكمة في التربية هي التي جعلت من علي خليفة عالماً عادلاً عبقرياً، وجعلت من ابن مسعود قارئاً عالماً وجعلت من ابن عباس عالماً اكبر وهو لا يزال شاباً وجعلت من أسامة بطل الابطال وكمي النزال وامير الرجال، ومما امتازت به تربيته العملية عليه السلام لمن كان في هذه السن أيضاً حسن التوجيه الذي يوفق فيه بين الاستعداد والرغبة الملائمين لنزعات النفس وخفقات الحس، يعين بذلك لهم أهدافهم ويذكي اليها هممهم ويعبد لهم شطردا طريقهم، ليكونوا بمأمن من عاديات التردد والاضطراب وتشعب الطرق والاغراض لئلا تضيع ملكاتهم ومواهبهم ويخفت توثبهم ويقضى على نشاطهم. كل هذا ولم يبلغ الاطفال الحلم فاذا بلغوا الحلم او السن الخامسة عشرة فهناك الشباب وهناك الرجولة، أوليست الطبيعة قد أعدته لذلك فأمرّت عوده وصلبت مغمزه فما عليه بعدها الا ان يشغل بحق مكانه في هذا الحقل ويقوم بعمله المهيأ له، فليس بعد هذه السن بمنتظر.

تحديده عليه السلام اول سن الشباب:

كان من آثار تلك الشعلة التي أضاءت ربوع مكة وبطاحها، وتلك الفورة التي غزت القلوب والعقول، وتلك التربية الرفيعة التي استهوى فيها الرسول الصغار والكبار كان من آثارها أن دبت الحيوية في نفوس هؤلاء الولدان فجعلوا يستبقون الى العمل وينهدون الى الجهاد، قبل ان يكون لهم من السن ما يسمح لهم بهذه المغامرات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصعبة ، ولكن رسول الله كان يأخذ بحجزهم عن اقتحام هذه الاهوال التي ما كان يراهم اكفاء لخوضها وتحليتها جحيمها قبل بلوغهم الخامسة عشرة من عمرهم ، فرد منهم الكثير لا يراهم بلغوا هذه السن يوم عرض قومه في وقعة أحد منهم عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت واسامة بن زيد وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس وابو سعيد الخدري وسعيد بن خيثمة ، الا فئة قليلة كان لها من قوة الاقدام ما ذلل لها ارادة النبي في اجازتها مع المحاربين فهذا عمير بن أبي وقاص حين أبى عليه النبي ان يخرج في غزوة بدر بكى فأجازه حين رأى منه عزيمة ماضية وصدقاً نادراً وهذا سمرة بن جندب قال لزوج أمه وقد استفزه ان اجاز رسول الله رافع بن خديج في غزوة احد قال : اجاز رسول الله رافع بن خديج وردني وأنا اصرعه؟ فأعلم بذلك رسول الله فقال تصارعا فصرع سمرة رافعاً فأجازه ، كل هذا يدلنا ان النبي (ص) كان يعتبر الخامسة عشرة ابان سن الشباب حتى قال بعضهم ان هذه السن هي الحاجز بين الصغير وسن التكليف ، فاذا انتهى الفتى الى هذه السن فذاك اوان استعداده لأن يضطلع باعباء الرجال ويستقل بهماتهم وينهض بتكاليفهم ، مندفعاً في هذا الخضم يعمل وينتج بقلب حي ونفس دؤوب وأمل بارق ، ولقد صرف النبي عليه السلام الى الشباب وجهه ووجهته ليكونوا كذلك وقد كانوا حتى جعلهم عمدته في جميع ما يتعلق بدعوته من اعمال كبيرة خطيرة من جهاد وايمان وعلم وقضاء وكان لهم في نفسه من المكانة مارفع من أقدارهم وبوأهم أشرف ما يصبون اليه من الكرامة والسؤدد والجاه العريض .

تشجيعه عليه السلام الشباب وعنايته بهم :

يكون التمايز بالقوة والصحة والتفضيل بين فكرة وفكرة بمقدار ما يكون لاحداهما من القدرة على النفوذ الى عالم الواقع والجري معه كأنها جزء منه لاتحيد ولا تريم ، فان ضؤل نصيبها من ذلك فبقدر ضؤولته يكون الضعف ويكون التقلص فالانحلال فاذا لم يكن لها في عالم الواقع نقير ولا قطمير ، فذلك من الخيال والى الخيال وهي الى طرفة ادبية أشبه منها الى فكرة عملية فالرأي في الشيء ليس دائماً معناه العمل به وانما يكون رأي بلا عمل كما لا يكون عمل بلا رأي ؛ وان كان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرأي خفياً يعتلج في الوعي الباطن ، فقد يكون هناك مرب عظيم ، عرف الشيء الكثير عن الانسان ، وله فيه مذاهب وآراء واضعاً تلقاءه الاهداف والمثل العليا ، فاذا باشر العمل عمى بأمره فأدركه العثار وكبت به الزناد وقد يتحكم فيه الصلف وتأخذه نشوة العلم وسلطة المعلم فينسى مالا ينبغي ان ينساه ويضل عما يجب ان يهتدي اليه ، ولكن رسول الله زاوج بين الفكرة والعمل مزاوجة تجعل الفكرة الصالحة لاتنفك عن التنفيذ ، كالزهرة الطيبة لا تملك ان تكتم اريجها ، او كالفكرة قد اندمجت في العمل كما اندمجت نواميس الوجود في الوجود ، ممداً ذلك كله بعقله الراجح وعاطفته النبيلة ، وساميا عما عساه ان يسم الانسان بالنقص او يهبط به الى درك من الملق الكاذب والفخار الاجوف ، فهو في معاملته الناس وتربيته لهم عمليٌ دقيق حقاً ، يبذل من نفسه لكل صغير او كبير ما يكفيه ذاتياً لتكميله ورفع مستواه ، وما يكفيه لما يمكن ان ينتفع منه المجموع ، ومن هنا كان عليه السلام يرى للشباب من حقهم الذاتي الذي به يتأهبون لأجل الأعمال واخطرها ، ومن حق المصلحة الاجتماعية العامة فيهم ، ما يجعله يختصهم بعناية منه ، وما يجعله أشد الناس تشجيعاً لهم وعطفاً عليهم . والتشجيع هو العامل الحي الذي به تنفرج النفوس عن عبقرية كمينة تعتلج في القلوب ، وهو ذاك الذي يقتدح الاستعداد ويؤرث التفاعل الحيوي في النفوس المستكينة الضعيفة ، فتنضح القدرة بعد اليأس منها ، وتفيض بالخير بعد ظن الاخفاق ، وما خرج القادة والعلماء والقضاة قد اوفوا على الغاية واشف من الغاية الا عناية الرسول وتشجيعه ، ولولا هذه العناية وهذا التشجيع فقد يمكن ان يكون هناك نبوة ودين ، ولكن المستحيل عادة ان يكون هناك نهضة اسلامية كبرى تتغلغل في ادق ذرات العالم روحاً وعقلاً وضميراً ، ولقد كان لرسول الله في التشجيع أساليب هي آيات الآيات في ابداع التربية على احكم نظام وامتن طريقة ، وهي في ناحيتيها القولية والعملية عملية بليغة الانتاج قوية ثابتة ، وما من عمل ينبغي ان يقوم به أحد الا كان رسول الله يفتح طريقة اليه بالتشجيع ويذكيه بالعناية ، ومن أخص هذه الأعمال الحرب والعلم والقضاء ، أما تشجيعه عليه السلام الشباب في الحرب ، فقد كان يرى فيهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من الاعتزاز بالنصر والنشوة في الفوز وثورة العقيدة ما حمله على الاستفادة منها فيما يجعلهم كتلة متماسكة من الجرأة والاقدام في سبيل ما يغلي في قلوبهم من ايمان وما يرتكز في نفوسهم من مبدأ . فقد رفع من شأنهم وبسط من نفوذهم ووطد من دعائمهم ما أتاح لهم ان يخوضوا اكبر المعارك وهم في الرعيل الاول ، لابل ان يفوزوا بالقيادة في كثير من السرايا والغزوات مقدمين على الجلة من شيوخ الاصحاب ، فقد أعطاهم الرايات في اكثر المشاهد ، أعطى زيد بن ثابت راية بني النجار يوم تبوك وعمره نحو من عشرين سنة بعد ان سلبها من عمارة بن حزم ، وأعطى علياً راية بدر وهو بين احدى وعشرين وثنتين وعشرين سنة ، حتى اذا كانت غزوة خيبر قال رسول الله في الملأ ، لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال سعد فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها . فقال اين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا يا رسول الله يشتكي عينه ، قال فارسلوا اليه وفي رواية بعث رسول الله (ص) ابا بكر برايته الى حصون خيبر يقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث عمر الغد فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله (ص) لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرار ، قال سلمة فدعا بعلي وهو ارمد فتفل في عينيه وقال هذه الراية امض بها حتى يفتح الله على يديك ، فأي اريحية تلك التي يهتز لها حين يعلم قبل ان يلج غمار الحرب انه كان بموضع من ثناء النبي وثقته في احراز الفتح والغلبة على العدو من دون المرجبين ممن يسعرون الحروب وهو لا يزال في شرخ العمر ؟! وما كان الرسول ليأبى في سبيل التشجيع ووضع الثقة والكفاءة ان يعطي الراية غلاماً لم تتجاوز سنه العشرين ، بل أقل من ذلك ، فقد أعطى أسامة بن زيد راية السرية التي جهزها لتغير على أبني من قضاعة ، تلك السرية التي ضمت اربعين الف مقاتل فيهم سراة الناس والمقدمون فيهم من المهاجرين والانصار مثل ابي بكر وعمر وابي عبيدة ، وقال حين بلغه ان الراية صارت الى خالد بن الوليد البطل الصنديد قال : فهلا الى رجل قتل ابوه يعني أسامة بن زيد ، حتى اذا طعن بأمارته بعض الناس ، تنوء واعتلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المنبر فقال : فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة ، ان طعنتم تأمير أسامة فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وايم الله ان كان لخليقاً بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها ، وانه كان لمن أحب الناس الي وانه لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيراً فانه من خياركم ، وهذه امثلة جد قليلة لا يبلغ الاستقصاء الاحاطة بجميعها .

وأما تشجيعه عليه السلام الشباب في العلم ، فقد كان يعلم ان الشباب أقوى على حمله واضمن للانتاج فيه فهم الين عقولاً وأصفى قرائحاً لذلك فتح لهم باب العلم على مصراعيه ويسر لهم اليه السبيل وأباح لهم في تلقفه مالم يكن ليبيحه لغيرهم ، فقد أباح لعبد الله بن عمرو بن العاص ان يكتب عنه ما يسمعه منه بعد ان حظر كتابة الحديث على كل أحد خشية ان يلبسوه بالقرآن او ان يمزجوه به . قال عبد الله بن عمرو استأذنت النبي (ص) في كتابة ما سمعت منه ، فأذن لي فكتبته فكان عبد الله يسمي صحيفته تلك الصادقة ، وقد أجاب ابو هريرة لما سئل عن أحفظ الاصحاب للحديث فقال انا لولا عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب وقد يستجلب شغفهم ويعتصر رغبتهم من طرف خفي حتى في توجيههم الى نوع مخصوص من العلم ، فقد جلب عبد الله بن عباس ووجهه بدعائه له قائلاً اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب ، وقوله أللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان كما أراد له الرسول فقيهاً في الدين عالماً بالتأويل حكيماً ، وقد قص عبد الله بن عمرو رؤياه على النبي فقال : رأيت فيما يرى النائم كأن في احدى اصبعي سمناً وفي الأخرى عسلاً وأنا ألعقهما فلما اصبحت ذكرت ذلك لرسول الله (ص) فقال تقرأ الكتابين التوراة والفرقان ، فكان كذلك متقناً للكتابين التوراة والفرقان ومن عظيم تشجيعه الشباب في العلم ان جعل من الشباب كتاب وحيه وكتاب رسائله فقد كان منهم زيد بن ثابت ومعاوية بن ابي سفيان ولقد حض بعضهم على تعلم اللغات الأجنبية التي كان عليه السلام في حاجة ماسة اليها كالسريانية والعبرانية وذلك هو زيد بن ثابت ليقوم بأمانة السفارة فيما بينه وبين يهود . ومن تشجيعه العملي في العلم الأذن للشباب بالفتيا في عهده وفي بلده فمن أولئك علي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وما كان اكثر ما جهر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بمدحهم في العلم تشجيعاً لهم كقوله : اعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وسيأتي بعض ذلك

وأما تشجيعه عليه السلام الشباب في القضاء ، فقد علم عن الشباب الذين ابتعثهم من ذكاء القلب ونفاذ البصيرة وبديهة الحجة ما دفعه ان يجتبيهم لتولية القضاء من دون غيرهم من شيوخ الاصحاب حتى أصبحوا فيما بعد قضاة الدنيا ، فعن علي بن أبي طالب قال بعثني رسول الله (ص) الى اليمن قاضياً فقلت يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء ؟ فقال ان الله يهدي قلبك ويثبت لسانك فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الاول فانه أحرى ان يتبين لك القضاء قال فما زلت قاضياً وما شككت في قضاء بعد هذا . وعن معاذ قال لما بعثني رسول الله (ص) الى اليمن قال بم تقضي ان عرض لك قضاء ؟ قال قلت أقضي بما في كتاب الله قال فان لم يكن في كتاب الله قلت أقضي بما قضى به رسول الله قال فان لم يكن فيما قضى به الرسول قال قلت اجتهد رأيي ولا آلو ، قال فضرب صدري وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله ، وبعث النبي الى أهل اليمن كتاباً بشأن معاذ قائلاً فيه : اني قد بعثت عليكم من خير أهلي والى علمهم والى دينهم ، قيل ليحيى بن اكثم لما ولي القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة قيل له : كم سن القاضي ؟ قال :مثل عتاب بن أسيد حين ولاه النبي امارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا اكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله قاضياً على اليمن .

يتبع

عبد الغني الدقر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net